الوسطية ائتلاف لا اختلاف

مـــــروان الـــفـــاعـــوري

الأمــين العــام للمنتــدى العالمــي للوســطية، الأردن

الملخص

إنَّ من أهم خصائص الإسلام ومميزاته أنه يقوم على الوسطية والاعتدال والتسامح واحترام العهود والمواثيق، وقد اتصفت سيرة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في جميع مراحل الدعوة الإسلامية بهذه الصفات « فلم يكن حاملاً سيفاً في مكة، ولم يكن مغلظاً قولاً بل كان هيناً ليناً».

الوسطية من الوسط، وهو الخيار والأفضل والأجود، ووسطية أمة الإسلام مستمدة من وسطية منهجها، فهو منهج الاعتدال والتوازن الذي سلم من الإفراط والتفريط ومن الغلو والتقصير.

ويمكن القول إنَّ إشكالية الاختلاف ما زالت قائمة ولم يخرج علينا أحد لحلها على مدى التاريخ الإسلامي بكامله، ألا وهي: إمكانية إيجاد الوحدة الإسلامية في وجود التنوع الفكري. وعليه يمكن القول إن كان ثمة مشكلة تواجه العالم بأسره، فهي قضية الاختلاف، والأمة الإسلامية بخاصة مطالبة بحلها ، ولكنها تقاعست.

وبالنظر إلى أسباب الاختلاف بصورة عامة نجد أنَّ له أربعة أسباب لا يخرج عنها، وهي: قلة المعلومات، خطأ المعلومات أو عدم دقتها، اتباع الهوى، عدم تحديد معاني الألفاظ بدقة.

وقد جاءت الدراسة في خمسة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: تناول الفرقة والتجزئة، وتكامل العوامل الداخلية والخارجية في صناعة العوائق البنيوية في وجه مشروع النهضة الإسلامية المنشورة، وتعرض للتجزئة القطرية بقسميها الطائفي والعرقي .

المبحث الثاني: تناول المنتدى العالمي للوسطية، مشروع (رحمة للعالمين) الذي رفعه، وإيمانه بوحدة الأمة في إطار التنوع الواسع الذي يملأ الساحة الفكرية، والتيارات الفكرية والقومية والعلمانية التي تمارس نشاطها داخل الأمة. و التأكيد أنَّ العمل الإسلامي لا يجوز أن يجد نفسه في صدام مع عمل الآخرين ولو كانوا ينطلقون من رؤى قومية أو علمانية أو اشتراكية.

المبحث الثالث: تناول العقيدة الإسلامية بوصفها عامل وحدة وعلاج من الفرقة والتجزئة؛ إذ إن العقيدة الإسلامية أو قواعد الإيمان «الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» هي الأساس الجامع بين شعوب الأمة الإسلامية وأغلب البلاد العربية، وقد ركَّز القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية على تصحيح العقيدة الإيمانية؛ لأنها منطلق جميع القيم الدينية، وطريق بناء الأمة بناء سليماً، وأصبح شعار الأمة التعاون والإخاء

المبحث الرابع: تناول الفرقة بوصفها مدمّرة للأمّة، وتقود إلى التّخلّف والتّأخّر في جميع ميادين الحياة، والنتائج الخطيرة الناجمة عن خرق صف الجماعة، وأكد وجوب اتباع سبيل التجمع، وبين أن الفرقة المذمومة: هي الفرقة النّاجمة عن عوامل الهوى والعناد والتّباعد، دون حجّة مقبولة ولا دليل معقول، ولا يعني هذا عدم احترام الرأي الآخر، ولا عدم قبول موقف المعارضة، ولا الاختلاف في الرأي، فهذا شيء محمود ومقبول.

المبحث الخامس: تناول التكفير بوصفه طريق الفرقة والاختلاف، وبين أن ظاهرة التكفير أشدّ بلاء وفتكاً وتفريقاً بين المسلمين، وكأن أصحاب هذا الاتجاه أحفاد الخوارج الّذين كفّروا كلّ من عداهم من المسلمين وهم إمّا متعصّبون عُمْي البصائر، وإمّا جهلة، وإمّا فوضويّون عابثون. و إذا كانوا صادقين في ادّعائهم العمل للمسلمين، فلماذا لا يحصرون نشاطهم ومقاومتهم لأعداء الأمّة الإسلاميّة؟! وكيف لهم أن يستحلوا دماء العشرات من النّساء والشّيوخ والأطفال المسلمين وربّما من أسرة واحدة؟!

مقدمة

الحمد لله رب العالمين .. الحمد لله ربّ الناس الذي كرم أمة محمد فبوأها مواقع الوسطية بين الأمم.. وشرّفها بُمهمّة الشهادة العادلة على الناس .. وأُصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين إمامنا وحبيبنا وقرة أعيننا نبينا ورسولنا الهادي البشير سيدنا محمد بن عبد الله رافع لواء العالمية العادلة في الأرض...

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[2].

لقد أرسى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– مبادئ الإسلام السمحة على قواعد ومباديء ضمنت سعادة البشرية جمعاء، فعاشت في كنفها قروناً سعيدة ترجمت فيها كل معاني الفضل في إطار الإنسانية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[3]. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾[4]، فكانت الوسطية أبرز صفة لهذا الدين وهذه الحضارة.

ومن هنا تُعدّ الوسطية في الفكر والسلوك من أهم مزايا المنهج الإسلامي، فأمَّة الإسلام أمَّة الوسط والصراط المستقيم؛ بمعنى أنها تستغل جميع طاقاتها وجهودها في البناء والعمران المادي والعلمي والثقافي من غير إفراط ولا تفريط، فهي تحقق التوازن بين الفرد والجماعة، وبين الدين والدنيا، وبين العقل والنقل، وبين المثالية والواقعية، وبين الروحانية والمادية وهي تعلي من الحوار لغة ومنهجاً أمثل للتعاطي بين أبناء الأمة وغيرهم. إنها الركن الأساس والتدبير الناجع لفقه الاختلاف بين الأطراف كلها .

لقد اتصف الفكر الإسلامي بالتوازن ظاهراً وباطناً بين الدين والدنيا، وبين العقل والنقل، وبين عَالَم الغيب وعَالَم الشهادة، وبين النفس والبدن. فالوسطية سمة قاده الإصلاح والبناء على مدى الأزمان؛ لأنها صفة الإسلام العظيم وصفة العقيدة الصحيحة، التي تمسَّك بها أهل السنة والجماعة في عصور المسلمين على اختلاف أحوالها صعوداً أو هبوطاً، واعتبروا كل من يخرج عن هذه الوسطية في الاعتقاد أو السلوك، خارجاً عن الأعدل والأوسط، وذَمَّ هؤلاء العلماء كل غلو أو تطرف يريد الإخلال بصفة الاعتدال بمعناها القرآني.لذا كان الخطاب توحيدياً تاليفياً لنسيج الأمة –﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[5].

يقول الدكتور سعد الدين العثماني: إنَّ تيار الوسطية تيار ممتد عبرالتاريخ ليس منبت الجذور بل أصوله بالشرع فكراً وممارسة واضحة ومعروفة، وقد ذم القرآن الكريم واستنكرت السنة النبوية الشريفة مختلف أنواع الغلو، وحذرت منه، ورغبت في التيسير والتبشير ، وحذرت من التعسير التنفير وركزت على الكثير من التصرفات النبوية في سلوك الرسول، صلى الله عليه وسلم .

ولذلك تقوم الوسطية الإسلامية على تبني خط يبتعد عن التشدد والغلو من جهة، وعن التسيب والتقصير من جهة ثانية، وهي ليست مذهباً فقهياً أو عقدياً خاصاً، ولا تجمعاً حزبياً أو طائفة، بل هي منهج يستمد أصوله من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة... إنَّ الوسطية المذكورة في الآية الكريمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، حالة من التوازن بين التشدد من جهة، والتهاون والتقصير من جهة ثانية، وهي منهج في الحياة، يرتبط بمختلف جوانب النشاط البشري، فهي منهج في فهم الشرع، ومنهج في التدين، ومنهج في العمل الدعوي والاجتماعي والسياسي، ومنهج في التعامل مع الآخرين[6].

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: إنَّ «تيار الوسطية الإسلامية» أهم تيارات الصحوة وأعظمها وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لأنَّه هو التيار الصحيح، الذي يُعبّر عن وسطية المنهج الإسلامي الذي أسماه القرآن (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ).

ثانياً: لأنَّه التيار الأعرق والأقدم في تاريخ الصحوة أو التجديد الإسلامي، والتيارات أو الفصائل الأخرى مثل التكفير والهجرة ونحوها حديثة العهد، لا تضرب في التاريخ إلى غور بعيد.

ثالثاً: لأنَّه التيار الذي يُرجى طول عمره واستمراره، فإنَّ الغلو دائماً قصير العمر، ولا ينتظر له البقاء طويلاً وفقاً لسنّة الله.

رابعاً: لأنَّه التيار الذي يُمثّل أعرض قاعدة في الصحوة الإسلامية، وما عداه يعتبر بمثابة قنوات صغيرة.

وأنَّه فكر وسطي الوجهة والنزعة، فهو فكرٌ تتجلى فيه النظرة الوسطية المعتدلة المتكاملة للناس والحياة، النظرة التي تُمثّل المنهج الوسطي للأمة الوسط، بعيداً عن الغلو والتقصير، فالإسلام:

وسط بين المستعجلين لقطف الثمرة قبل أوانها، والغافلين عنها حتى تسقط في أيدي غيرهم بعد نضجها.

وسط بين المستغرقين في الحاضر، الغائبين عن المستقبل، المبالغين في التنبؤ بالمستقبل كأنَّه كتاب يقرؤونه.

وسط بين المغالين في التحريم كأنَّه لا يوجد في الدنيا شيء حلال، والمبالغين في التحليل كأنّه لا يوجد في الدين شيء حرام.

وسط بين تيار الانبهار وتيار الجمود.

إنَّ الفهم المعتدل للإسلام الذي ينبع من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قادر على أن يجمع المسلمين بعيداً عن الانشقاقات المذهبية والتعصب الأعمى، وأمتنا اليوم بحاجة ماسة لإصلاح أحوالها وفكرها، فالإصلاح فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع. إنه إصلاح ينبع من ذاتنا ويتأسس على ثوابتنا، وينفتح انفتاحاً واعياً على الحضارة التي هي إرث إنساني نأخذ منه وندع، والخطاب الفكري الوسطي الذي نتبناه ونسير على هداه،

خطاب يرتبط بالزمان والمكان والإنسان، مستشرف للمستقبل، منفتح على الحضارات بلا ذوبان، جامع بين النقل الصحيح وبين العقل الصريح، قائم على التجديد لا على الجمود والتقليد، يقبل إصلاح الحاضر ويرفض الهروب إلى الماضي.

ولذا ينهض تيار الوسطية اليوم بواجب شرعي حقيقي في إطار الوحدة الإسلامية، وهو تأمين الفضاء المعرفي والثقافي والاجتماعي لمبدأ الوحدة الإسلامية، وتوفير البيئة الصحيحة لقادة العالم الإسلامي للمضي قدماً في رسالة الوحدة والجماعة؛ ابتغاء الوصول إلى الأمة الواحدة التي بشرت بها هدايات القرآن الكريم.

إنَّ الخيار الذي يتبناه تيار الوسطية للوحدة الإسلامية هو التوحد في إطار التعدد، والإذن بالاختلاف في دائرة الجماعة الواحدة، لقد ظلَّ الفقهاء يتبادلون رواية الخلاف الفقهي فيما بينهم ولكن ذلك لم يكن لينتقص من احترام كل منهم للآخر، وكان هذا الاختلاف لا يسوء أياً من الفريقين، بل يفتح باباً لرفع الحرج عن الأمة وهو المعنى الذي عبر عنه بأوضح عبارة الخليفة الراشدي عمر بن عبدالعزيز حين قال: ما أحب أنَّ أصحاب رسول الله لم يختلفوا، لو لم يختلفوا لم تكن توسعة.

إنَّ الفقهاء نظروا إلى هذا الخلاف الفقهي على أنَّه مصدر ثراء وغنى ورحمة، وأتيح للعالم أن يتخير من كلام الفقهاء ما يراه أكثر صلاحاً لحال الأمة، ولم يكن هذا الخلاف نتيجة تعصب أو مغالبة للحقيقة بل كان إقراراً صريحاً بأنَّ الحقيقة قد تغيب عن بعض طالبيها كلياً أو جزئياً، وأنَّ من شأن المؤمن أن يلتمس الحقيقة في كل ما فتح الله به على أهل العلم من جوانب ربما لم يهتد إليها.

وهكذا فإنَّ جولة في رياض الفقه الإسلامي النضيرة ستجعلك تدرك أن ما نتداوله اليوم من شعارات الرأي والرأي الآخر، والتعددية الفكرية والثقافية، وضرورة أكثر من رأي هي كلها أدبيات راسخة متداوله في الفقه الإسلامي، كانت أصلاً من أصول العمل المشترك بين أطياف الأمة كافة.

إنه من المؤسف أنَّ الأمة انحرفت عن خيار سلفها الصالح في احترام الاجتهاد والاختلاف، والاستفادة من التعدد والتنوع الذي جاء به الفقه الإسلامية، وسادت عبارات مظلمة يتبادلها كثير من أبناء المذاهب الإسلامية طافحة بالغمز واللمز والهمز، وغير ذلك

من التهم التي تجدها في كتب المتعصبين يطفؤون بها روح التسامح والمحبة التي كان عليها سلفنا الصالح، رضوان الله عليهم.

إنَّ الدور الذي حمله تيار الوسطية اليوم هو إحياء ثقافة التكامل بين علماء الأمة وإعذار المختلف وتعزيز المشترك، والإسهام العلمي والفكري في الوحدة الإسلامية، وهو المعنى الذي نادانا إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾.

لماذا الوسطية ؟وما مضمونها؟

إنَّ نعمة الله على هذه الأمة وتشريفه لها أن جعلها أمة وسطاً خياراً عدولاً فقال ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾. فهي خير الأمم التي أخرجت للناس وقد وصفها المولى -عزوجل- ويشهد لها بذلك فقال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:110). ثم اصطفى الله- سبحانه وتعالى - لها رسولاً من خيارها وأوسطها نسباً ومكانة فبعثه فيها نبياً ورسولاً.

ولكنَّ الأمة في العصر الحاضر ابتعدت عن منهج الإعتدال والتوسط الذي رسمه القرآن الكريم ومارسه في الحياة سيد المرسلين. فإنَّ المتدبر في الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم يرى أنَّ بعض المسلمين قد غلا وأفرط في الغلو، حتى عادت أفكار الخوارج القديمة، وهناك من فرّط وجفا، وأضاع معالم الدين وأصول العقيدة؛ مما أدى إلى ضياع المسلمين بين تيارين، تيار الإلحاق والتغريب، وتيار التطرف والتكفير.

وبين هؤلاء وأولئك وقفت فئة تقتفي الأثر، وتُصحّح المنهج وتقود الناس إلى الصراط المستقيم، ينفون عن هذا الدين غلو الغالين وإنتحال المبطلين، وتفريط الكسالى، ودعاوى المرجفين الزائفين.فالوسطية ليست وصفة تخديرية أو بضاعة أجنبية تهدف إلى تبرير الأوضاع السيئة في عالمنا العربي وإنما حالة من البحث والتحري عن الحق والدوران معه حيث دار وسط هذا الواقع المؤلم، والاضطراب المهلك، تشتد الحاجة إلى إرشاد الأمة إلى الصراط المستقيم، والمنهج الوسط القويم لإنقاذها من كبوتها وإيقاظها من رقدتها،

وتذكير الدعاة والمصلحين ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(الأنعام: 153)

مرتكزات العمل لتيار الوسطية

أولاً – المساهمة في تحقيق التصالح مع الذات

أي تصالح أبناء الحوض الحضاري الإسلامي مع بعضهم، فنحن أمة واحدة عقيدة وثقافة. ومع تعدد المذاهب الفقهية والفكرية بقي المسلمون على قبلة واحدة وقرآن واحد، ونبي واحد، ورغم تنوع مكونات الأمة فالوحدة قائمة بالعقيدة والثقافة والمصير التاريخي لهذه الأمة، وهذا كله يدعونا إلى ضرورة المصالحة الشاملة، المصالحة داخل كل قطر من أقطار الأمة، مصالحة بين كل الوطنيين، فالعولمة طوفان استعماري جديد، فإن لم نتصالح مع ذاتنا ونلمّ شملنا، فإنَّ الطوفان سيجرف كل الطوائف والتيارات والمذاهب والأحزاب، وسيسلب الحكام ما تبقى لهم من السيادة على صناعة القرار السياسي في أوطانهم، وسيجرف الأمة برمتها لا قدر الله.

ولذلك يحمل المنتدى العالمي للوسطية على عاتقه المساهمة الفاعلة في صياغة إجابات راشدة لمواجهة التحديات الحضارية المعاصرة. قال تعالى:﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال: 46).

ثانياً – المساهمة بالحوار المبني على موازين الشرع والعقل والواقع وتجفيف مصادر الغلو

أمتنا الإسلامية تعيش ثلاثة تهديدات كبرى في نظرنا، هي كلها مدارس غلو وتطرف، **الأول** تهديد يمارسه الغزاة من الخارج على أوطاننا. **والثاني** تهديد يمارسه الطغاة في الداخل على حق الأمة في ممارسة السلطة السياسية. **والثالث** يمارسه غلاة الفكر في الداخل والخارج من المدرستين الإسلامية والعلمانية.

إنَّ الصفوة المثقفة الوسطية في عالمنا الإسلامي ملزمة اليوم بالتصدي الفكري والعملي لمدارس الغلو بشقيه الإسلامي والعلماني، والمثابرة على ذلك بعيداً عن المقاربة

الأمنية، لتجفيف منابع التطرف والغلو، لقناعتنا بأنَّ الاقتصار على المعالجة الأمنية يفرخ الغلو ويفجر ينابيع جديدة له وليس العكس.

ثالثاً – المساهمة في الحوار بين الحضارات وتصالحها والتقائها على الثوابت الإنسانية المشتركة

يؤمن المنتدى العالمي للوسطية بضرورة تجاوز الصدام الحضاري الجاري اليوم بين الثقافات والحضارت الإنسانية، وتقوية ما يجري من حوار بينها.

إنَّ الحوار الناجح هو الذي يهدف إلى تبادل المنتجات الحضارية الصالحة لنهضة الأمم، كآليات الديمقراطية الغربية بالنسبة للمسلمين الغارقين في الاستبداد، والقيم الخُلقية الإسلامية بالنسبة للغرب الغارق في المجاعة الروحية، فالحضارات جمعاء في حاجة ملحة للحوار بدل الصدام. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾(الحجرات: 13).

رابعاً – المساهمة في التنمية الشاملة في بلاد المسلمين وتصحيح مسار حضارة الغرب

يؤمن المنتدى العالمي للوسطية أن التنمية الفكرية الثقافية عنصر أساسي للنهضة الإسلامية الرائدة والحضارة الإنسانية الراشدة. ويعتبر هذه التنمية وظيفة من وظائف رسالته العالمية إن شاء الله. حتى نضمن لنا موقعاً في الخريطة التاريخية.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾آمين، والحمد لله رب العالمين.

مصطلح الوسطية.. المعنى والدلالات[7]

إنَّ مصطلح الوسطية من المصطلحات التي عدت عليها العاديات[8] وجارت عليها النائبات فأخرجتها عن معناها الإسلامي الأصيل، وأبعدتها عن كونها أخص خصائص منهج الإسلام في الفكر والحياة والنظر والممارسة والتطبيق والقيم والمعايير والأصول ...

إلى معانٍ أبعدت النجعة عن فحواها، وخالفت أصل مسماها وما عادت تمت إلى الوسطية بصلة، ولا تتعلق فيها بسبب؛ الأمر الذي أوجب العناية بالمصطلح واستجلاء معانيه اللغوية والاصطلاحية.

أ- المعنى اللغوي

قال ابن منظور: مقاييس اللغة (الواو والسين والطاء): بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه، قال الله عز وجل : ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ ويقال: ضربت وسَط رأسه بفتح السين، ووسْط القوم بسكونها وهو أوسطهم حسباً إذا كان في وسط قومه وأرفعهم محلاً. قال ابن منظور: وسط الشيء ما بين طرفيه، قال أعرابي :

إذا رَحَلْتُ فاجعلوني وسطا × إني كبير لا أطيق العنادا

أي اجعلوني وسطاً لكم ترفقون بي وتحفظونني، فإني أخاف إذا كنت وحدي متقدماً لكم أو متأخراً عنكم أن تفرط دابتي أو ناقتي فتصرعني[9]، وقال : «وسط الشيء أفضله وأعدله»[10].

يقول الفيروزآبادي: «الوسط، من كل شيء أعدله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[11]، أي: عدلاً خياراً[12]، قال زهير في المدح :

همو وسط يرضى الأنام بحكمهم × إذا نزلت إحدى الليالي العظائم

وينقل ابن منظور عن أحد الأعراب مخاطباً الحسن قوله: «علمني ديناً وَسُوطاً، لا ذاهباً فروطاً، ولا ساقطاً سقوطاً، ويعلق قائلاً: «الوَسوط هنا المتوسط بين الغالي والتالي، ألا تراه قال: لا ذاهباً فروطاً!!، ألا ترى إلى قول علي – رضي الله عنه– : خير الناس هذا النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي!»[13].

ب- المعني الاصطلاحي

الوسطية في المصطلح تعني حالة محمودة تعصم الفرد من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط، أو «هي التوازن والتعادل بين الطرفين، بحيث لا يطغى طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وإنما اتباع للأفضل والأعدل والأجود والأكمل».

كما يُعبّر عنها أيضاً بالتوازن الذي يعطي كل ذي حق حقه دون طغيان أو إخسار أو وكس أو شطط كالأطراف المتقابلة مثلاً أو المتضادة: الروحية والمادية، والفردية والجماعية، والواقعية والمثالية، والثبات والتغير وما شابهها، ومعنى التوازن بينهما: أن يفسح لكل طرف منها مجاله، ويعطي حقه بالقسط أو بالقسطاس المستقيم.

فالوسطية في الشرع تعني الاعتدال والتوازن بين أمرين، أو طرفين، بين إفراط وتفريط، أو غلو وتقصير، وهذه الوسطية – إذن – هي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة. يقول سيد قطب – رحمه الله – : «وإنَّها للأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو الوسط بمعناه المادي والحسي، أمة وسطاً في التصور والاعتقاد، أمة وسطاً في التفكير والشعور، أمة وسطاً في التنظيم والتنسيق، أمة وسطاً في الارتباطات والعلاقات، أمة وسطاً في الزمان، أمة وسطاً في المكان»[14].

الوسطية في القرآن الكريم والسنة المطهرة

الوسطية في القرآن الكريم

وردت لفظة وسط ومشتقاتها في القرآن الكريم في مواضع، منها :

وسطية الشعائر: في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[15].

وسطية السلوك: في نحو قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[16]. وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[17].

وسطية الإنفاق: في نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[18]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[19].

وسطية المعاملات: في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ﴾[20].

وسطية القضاء: في قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ﴾[21].

وسطية الخيرية: في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[22]. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾[23].

وسطية الزمان: في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾[24] [25].

وسطية المكان: في نحو قوله تعالى : ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾[26]. بالإشارة هنا إلى وسطية المكان إذ بعثرته الخيل وبعثرته في مكان ما – توسطت جمعاً ففرقته وبعثرته .

الوسطية في السنة المطهرة

ورد في السنة من الروايات ما يدل على هذه القاعدة باللفظ أو المفهوم. منها: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)[27]. ومنها الدعاء: (وأسألك القصد في الفقر والغنى، والعدل في الغضب والرضى)[28]. ومنها (أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكن أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[29].

ومنها حديث أنس: «أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كان يفطر من الشهر حتى نظن أنه لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أنه لا يفطر منه شيئاً، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيته ولا نائماً إلا رأيته"[30]. وقال أيضاً: دخل النبي – صلى الله عليه وسلم – فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا الحبل لزينب إذا فترت تعلقت به، فقال: «حلوه، فليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد»[31]. وفي الأخرى: «فإذا نَعَستِ فنامي».

وعن عائشة زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – قالت: دخلت على خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية وكانت عند عثمان بن مظعون، فرأى بذاذة هيئتها فقال لي: «يا عائشة ما أبذ هيئة خويلة؟» . قالت: فقلت: يا رسول الله امرأة لا زوج لها تصوم النهار وتقوم الليل، فهي كمن لا زوج لها فتركت نفسها وأضاعتها. قالت : فبعث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى عثمان بن مظعون فجاءه فقال: «يا عثمان أرغبت عن سنتي؟». قال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب. قال: «فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان فإنَّ لأهلك عليك حقاً، وإنَّ لضيفك

عليك حقاً، وإنَّ لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر وصل ونم»[32].

ومن المعلوم أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– آخى بين أبي الدرداء وسلمان الفارسي. فرأى سلمان أم الدرداء وهي شعثة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء يقوم الليل ويصوم النهار، فقال سلمان: «إنَّ لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، –قال صلوات الله وسلامه عليه– : «صدق سلمان».

ومنها: ما جاء في وصية أمير المؤمنين عليّ – رضي الله عنه– لابنه الحسن عند وفاته: «واقتصد يا بني في معيشتك، واقتصد في عبادتك، وعليك بالأمر الدائم الذي تطيقه».

الوسطية في منهج الصحابة

إنَّ معالم فقه التوسط في حياة الصحابة – رضي الله عنهم– تتحدد من خلال كليتي الفهم والتطبيق، حيث يتأكد التأصيل وتعميق الاستدلال، من حيث أصالة هذا الاهتمام ذاته في عقل الجيل الذي توجه إليه الوصف أول مرة بأنه أمة الوسط؛ فليس بدعاً أن تنهض ثلة من علماء الأمة ومفكريها اليوم بإحياء هذا الفقه وهم يترسمون خطا هذا الجيل المبارك الذي شهد الوحي وعقل معانيه، وتلقى أسس الاعتدال غضة طرية من سنة النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم– قولاً وفعلاً وتقريراً.

ومن الخطأ الذي وقع فيه البعض المقابلة بين الوسطية والإسلام، فليتأمل المنصفون منهم في هذه النماذج من أقوال الصحابة الكرام ليتبين لهم وجه الحق، وماذا عساهم يقولون – مثلاً – عن قول أحد الصحابة الكرام: عليكم بالنمط الأوسط، هل فيه خصومة للإسلام أم حث على التمسك بالمنهج الحق فيه؟! وبماذا سيجيب أحدهم عن شهادة سيدنا عمربن عبد العزيز – رضي الله عنه – حين وصفهم بالتوسط بين الغلو والجفاء؟! .. إنَّ المعترضين على هذا الإحياء لا يعترضون على جيل بعينه ولكنهم يعترضون على أجيال من السلف والخلف، فرحم الله امرأ عرف قدر نفسه ولم يتكلف الخصومات والاختلافات.

فقد رأوا –رضي الله عنهم– هدي النبي – صلى الله عليه وسلم– في التوسط وكراهته للتنطع والغلو وحثه – عليه الصلاة والسلام– على القصد والاعتدال، وشاهدوا من أحواله الشريفة الحاملة على الرفق والرحمة والعدل مع العدو والصديق.. فلم يملكوا

إلا متابعته في ذلك كله، وفيما يلي غيض من فيض متابعتهم له – عليه الصلاة والسلام – في هديه وقصده:

عن أبي جعفر قال: «كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حديثاً لم يعده ولم يقصر دونه»[33]. فتأمل حقيقة الاتباع الحق وأنَّه يكون بأمرين: ترك الإفراط: وهو معنى قوله: لم يعده، وترك التفريط: وهو معنى قوله: لم يقصر دونه.

ومن هذا المعنى امتثالهم – رضي الله عنهم – لقيم الإسلام وأخلاقه على الاعتدال الجامع لمحاسن كل خلق محمود بين خلقين مذمومين، كما وصفهم القرآن في قوله – جل شأنه –: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[34]، فجمع لهم في الوصف بين الشدة والرحمة وهما متقابلان وكل منهما في موضعه محمود.

ومن تجليات فقه التوسط وحضوره في حياتهم – رضي الله عنهم – ؛ احتكامهم إلى الوسطية وتحكيمهم لما كان جارياً على الاستقامة والاعتدال بين الغلو والجفاء من الآراء حين تختلف الأنظار وتتقابل الفهوم، لم يمتثل الصحابة الكرام الوسطية منهجاً في الفهم والسلوك فحسب، بل أوصوا الجيل الذي تربى على أيديهم ونهل من صافي معينهم بالتوسط والقصد؛ فصدرت عنهم درر من الوصايا والنصائح ما أحوج الأمة اليوم إلى امتثالها، وفي هذه الوصايا دليل على مشروعية إحياء فقه التوسط في حياة الأمة اليوم، وفي هذا السياق يمكننا أن نمثل.

إنَّ الاهتمام بالعمل والبعد عن التكلف إحدى السمات التي تنهض عليها الحضارات وتبنى عليها الأمم، ولقد وصف ابن مسعود –رضي الله عنه – صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم – بالاعتدال وقلة التكلف فقال: «أولئك أصحاب محمد كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصُحبة نبيه وإتمام دينه، فاعرفوا فضلهم واتبعوهم على أثرهم وسيرتهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[35].

عن أبي مجلز قال: «صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك، فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى، قال: أما إني دعوت فيهما بدعاء كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يدعو به: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة

الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة ، ومن فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين»[36]. فانظر كيف حاجّهم بأنه ما زاد على ما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم -يفعله.

وروى أبو قلابة: أنَّ رجلاً قال لأبي الدرداء: إنَّ إخوانك من أهل الكوفة من أهل الذكر يقرئونك السلام؛ فقال: وعليهم السلام، ومرهم فليعطوا القرآن بخزائنهم فإنه يحملهم على القصد والسهولة ويجنبهم الجور والحزونة[37]. وروى ابن بطة بسنده إلى سيدنا علي - رضي الله عنه - قال: «ألا أخبركم بالفقيه كل الفقيه: من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره»[38].

فلنتأمل حقيقة الفقه والفهم في الدين على هذا النموذج وكأنه خلاصة عمر من الدراسة والاستنباط والنظر في شؤون العلماء وعلاقتهم بالجماهير: الترغيب والترهيب في آن واحد، وعدم التفريط في ثوابت هذا الدين تحت أي ذريعة من الذرائع، مع الاعتصام بالقرآن الكريم والاستغناء به عن مناهج البشر وتشريعاتهم. أوليس هذا ما نحتاجه في حياتنا اليوم؟.

ونقل الماوردي في أدب الدنيا والدين في مبحث أدب الصديق: «وينبغي أن يتوقى الإفراط في محبته، فإنَّ الإفراط داع إلى التقصير، ولأن تكون الحال بينهما نامية أولى من أن تكون متناهية... قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- : لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً»[39].

الجامعة[40]

إنَّ «العدل» - والوسطية هي العدل بين ظلمين- لا يعتدل ميزانه بتجاهل كفتيه، والانفراد دونهما، كما أنَّه لا يعتدل ميزانه بالانحياز إلى إحدى الكفتين. وإنما يعتدل بالوسطية الجامعة التي تجمع الحكم العادل من حقائق ووقائع وحجج وبيّنات الفريقين المختصمين -كفتي الميزان-. ولهذا كان قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : «الوسط: العدل، جعلناكم أمة وسطاً» رواه الإمام أحمد، كان التعبير عن حقيقة مفهوم الوسطية في الإسلام.

وفي ضوء هذا المضمون الإسلامي لمصطلح "الوسطية" -وهو المضمون الذي ميّزها بوصف "الجامعة"- نقرأ كل الآيات القرآنية التي أشارت إلى هذه الخصيصة من خصائص المنهج الإسلامي في الإصلاح.

فأمة الإسلام هم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[41]

والمنهاج الوسطي في الإنفاق تشير إليه آيات من مثل: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾[42] ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورٗا﴾[43].

فلا الرهبانية النصرانية والنسك الأعجمي ولا الحيوانية الشهوانية والتحلل من التكاليف. وإذا نحن شئنا معرفة الامتياز العظيم الذي تمثله "الوسطية الجامعة" وتحققه للمنهج الإسلامي في الإصلاح، والشمول الذي تبلغه تأثيراتها عندما تُراعى وتوضع في الممارسة والتطبيق، فإننا نستطيع ذلك عندما ندرك كيف مثلت هذه الوسطية -وتمثِّل- بالنسبة للإصلاح الإسلامي طوق النجاة من تمزق وانشطارية وثنائية المتقابلات المتناقضة، على النحو الذي حدث في حضارات أخرى، وفي الحضارة الغربية على وجه التحديد.

فبهذه الوسطية الجامعة لم يعرف المنهاج الإسلامي التناقض الذي لم يجد له حلاً بين: الروح والجسد، الدنيا والآخرة، الدين والدولة، الذات والموضوع، الفرد والمجموع، الفكر والواقع، المادية والمثالية، المقاصد والوسائل، الثابت والمتغير، القديم والجديد، العقل والنقل، الحق والقوة، الاجتهاد والتقليد، الدين والعلم... إلى آخر الثنائيات، التي عندما افتقد منهج النظر إليها قسمة «الوسطية الجامعة» حدث الانقسام الحاد والشهير في فلسفة الحضارة الغربية إلى "ماديين" و"مثاليين" و"مادية" و"مثالية"، و"عقلانيين" و"لاهوتيين"، و"متدينين"، و"فلاسفة" و"مؤمنين"، منذ العهود اليونانية لتلك الحضارة حتى نهضتها الحديثة وواقعها المعاصر.

لقد مثلت الوسطية الإسلامية الجامعة لحضارتنا ولمنهاج الإصلاح الإسلامي طوق النجاة من هذه الثنائيات وتمزقاتها وغلوها. ولذلك، كانت المعيار لإسلامية مناهج النظر الفكري ومناهج الإصلاح بالإسلام.

فالوسطية هي السمة المميزة للإسلام، وهي السبب الذي جعل الإسلام دين الفطرة البشرية السوية، فكان لذلك سلم الارتقاء على درب المدنية، بشهادة الخصوم قبل الأصدقاء.

وبهذه الوسطية التي تميز بها الإسلام تميزت أمة الإسلام عن أمم الشرائع السابقة التي حُرّف بعضها إلى الغلو المادي، وحُرّف بعضها الآخر إلى الغلو الروحاني، وبعبارة الإمام محمد عبده: "ذلك أن الناس كانوا قبل ظهور الإسلام على قسمين: قسم تقضي عليه تقاليده المادية المحضة، فلا همّ له إلا الحظوظ الجسدية، كاليهود والمشركين؛ وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية الخالصة، وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية، كالنصارى والصابئين وطوائف من وثَنيّي الهند أصحاب الرياضات. وأما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها في دينها الحقين؛ حق الروح وحق الجسد، فهي روحانية جسمانية. وإن شئت قلت: إنه أعطاها جميع حقوق الإنسانية، فإنَّ الإنسان جسم وروح، حيوان ومَلَك، فكأنه قال: جعلناكم أمة وسطاً، تعرفون الحقّين وتبلغون الكمالَين".

ولأنَّ السنة النبوية هي البيان النبوي للبلاغ القرآني، كانت سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وطريقته في العمل والقول التجسيد لمنهاج الوسطية الإسلامية. ويكفي أن نتأمل مع سيرته الشريفة قوله – صلى الله عليه وسلم– : «**إنَّ هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق**»[44]، و «**إنَّ دين الله عز وجل يسر**»[45]، و «**إنَّ الله – عز وجل – لم يبعثني معنِّفاً، ولكن بعثني ميسِّر**»[46]، وعن عائشة – رضي الله عنها– : «**ما خُيِّر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بين أمرين في الإسلام إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه**»[47].

الوسطية منهاج الإسلام

ولأنَّ هذه الوسطية الجامعة بهذا المعنى، هي منهاج الإسلام في الحياة، بمختلف ميادين الحياة الفردية والاجتماعية؛ فإنَّ العقل المسلم يستطيع أن يفقهها ويطبقها في سائر الميادين:

❖ **فلسفة الإسلام في الاقتصاد والثروات والأموال، نجد «الاستخلاف» وسطاً بين «الحرية المطلقة» في الأموال، وبين الإلغاء الكامل للحرية في الأموال.** فالإنسان مالك وحر ومستثمر ومنفق ومستمتع، لكن كوكيل وخليفة في الملكية الاجتماعية عن المالك الحقيقي،

وهو الله سبحانه وتعالى. فكل حقوق الإنسان في الثروات والأموال محكومة بحقوق الله وفرائضه في التوازن والتكافل بين الأمة.

❖ **وفي الموقف من تمايز الناس إلى طبقات اجتماعية، يقف الإسلام بوسطيته الجامعة بين الحرية المطلقة التي تثمر التفاوت الفاحش بين الطبقات، وبين "الطوباوية" التي حلت بمجتمعات لاطبقية.** فطبيعي وضروري -بناء على تفاوت الطاقات والهمم والجهود- أن يتمايز الناس في المكاسب والحظوظ، لكنَّ الوسطية تفرض وقوف هذا التمايز عند حدود التوازن والتكافل، الذي يجعل الأمة جسداً واحداً، تتكافل أعضاؤه، مع تفاوت الأهمية والعطاء والحاجات لكل عضو من هذه الأعضاء.

وبعبارة الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- في عهده إلى واليه على مصر "الأشتر النخعي": "واعلم أنَّ الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض".

❖ **وفي الموقف من العلاقات بين الحضارات تقدم الوسطية الإسلامية منهاج «التفاعل» الذي هو وسط بين غلو في «الانغلاق والعزلة»، و"التبعية والتقليد"**. ففي «التفاعل» استلهام لكل ما هو مشترك إنساني عام، مع التمايز في الخصوصيات المتعلقة بالهويات العقدية والثقافية.

كما تقدم الوسطية الإسلامية منهاج "التدافع" عندما يختل التوازن في العلاقات بين الحضارات وكذلك الطبقات؛ لأن هذا "التدافع" هو متن وسط، يمثل الحراك الاجتماعي الذي يزيل الخلل، ويعيد العلاقات إلى مستوى التوازن والعدل، مع الحفاظ على تعدد الفرقاء المختلفين وتنوعهم وتمايزهم. فهو "التدافع" وسط بين "السكون" الذي ينزل الخلل ليستفحل، وبين» الصراع" الذي يصرع فيه القوي الضعيف، فينهي التعددية والتمايز والاختلاف.

لقد رفض القرآن منهاج "الصراع" لأنه يزيل سنة التعددية، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾[48]، بينما «التدافع» حراك يعدل المواقف، مع المحافظة على التعدد والتنوع والاختلاف: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[49].

تلك هي الوسطية الإسلامية الجامعة، صبغة الله التي أرادها لأمة الإسلام، والفطرة الإسلامية المطهرة من العوارض والآفات، وعدسة الرؤية اللاّمة لقسمات المنهج الإسلامي ومعالم تصوره في» الفكر" و"الحياة". وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[50]. وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما قال: «الوسط :العدل، جعلناكم أمة وسطا".

الوسطية الإسلامية نفي للغلو الظالم والتطرف الباطل[51]

في الوسطية الإسلامية تتمثل السمة والقسمة التي تجد ما يخص به المنهج الإسلامي عن مناهج أخرى لمذاهب وشرائع وفلسفات؛ بها انطبعت الحضارة الإسلامية في كل القيم والمعايير والأصول والمعالم والجزئيات، حتى لنستطيع أن نقول: إنَّ هذه الوسطية، بالنسبة للمنهج الإسلامي وحضارته هي "عدسته اللاّمة" لأشعة ضوئه، وزاويةُ رؤيته كمنهج، وزاوية الرؤية به أيضاً.

وهي قد بلغت وتبلغ هذا المقام؛ لأنها – بنفيها الغلو الظالم والتطرف الباطل– إنما تمثل الفطرة الإنسانية قبل أن تعرض لها وتعدوَ عليها عوارض وعاديات الآفات. تمثل الفطرة الإنسانية في بساطتها وبداهتها وعمقها وصدق تعبيرها عن فطرة الله التي فطر الناس عليها. إنها صبغة الله، أراد – سبحانه وتعالى – لها أن تكون صبغة أمة الإسلام، وأخص خصوصيات منهج الإصلاح بالإسلام، فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[52]. الوسطية هي الحق بين باطلَين؛ والعدل بين ظلمَين؛ والاعتدال بين تطرفَين؛ والموقف العادل الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال، الرافض للغلوّ إفراطاً وتفريطاً؛ لأنَّ الغلو الذي يتنكّب الوسطية هو انحياز من الغلاة إلى أحد قطبَي الظاهرة، ووقوف عند إحدى كفتي الميزان، يفتقر توسط الوسطية الإسلامية الجامعة وإمكانات الشهادة والشهود.

هذه الوسطية الإسلامية الجامعة ليست ما يحسبه العامة انعدام الموقف الواضح والمحدد أمام القضايا والمشكلات؛ لأنها هي الموقف الأصعب الذي لا ينحاز الانحياز السهل إلى أحد القطبين فقط، فهي بريئة من المعاني التي شاعت عن دلالات مصطلحها بين العوام،

وهي كذلك ليست «الوسطية الأرسطية» كما يحسب كثير من المثقفين ودارسي الفلسفة الغربية وطلابها.. إنها في التصور الإسلامي موقف ثالث حقاً، وموقف جديد حقاً، ولكن توسطه بين النقيضين المتقابلين لا يعني أنه منبت الصلة بسماتهما وقسماتهما ومكوناتهما. إنه مخالف لهما، لكن ليس في كل شيء؛ وإنما خلافه لهما منحصر في رفض الانحصار والانغلاق على سمات كل قطب من الأقطاب وحدها دون غيرها، منحصر في رفضه الإبصار بعين واحدة، لا ترى إلا قطباً واحداً، منحصر في رفضه الانحياز المغالي، وغلو الانحياز. ولذلك، فإنها – كموقف ثالث وجديد – إنما يتمثل تميّزها، وتتمثل جدّتها في أنها تجمع وتؤلف كل ما يمكن جمعه وتأليفه – كنسق غير متنافر ولا ملفق – من السمات والقسمات والمكونات الموجودة في القطبين النقيضين كليهما. وهي لذلك وسطية «جامعة»، تتميز عن تلك التي قال بها حكيم اليونان.

دور الوسطية الإسلامية في الحوار الحضاري الإنساني المعاصر[53]

الوسطية والتعدد وليس التطرف والتعصب والإرهاب طريقنا إلى الحوار الحضاري

الحوار الحضاري يعني مبدئياً التسليم أو الاعتقاد بتعدد الحضارات القائمة في عصر واحد؛ وربما كانت المشكلة تبدأ من هذه النقطة؛ لأنَّ الثقافات المتعددة لشعوب العالم وأممه لم تتمكن حتى الآن من التعبير عن نفسها من خلال حضارتها الخاصة في ظل الحضارة الغربية التي ما زالت تبسط سلطانها على العالم منذ أمد بعيد. ومن ثم فإنَّ ما نسمّيه حواراً حضارياً، وهو الذي نريد أن ندخل ناديه بالوسطية الإسلامية، هو في حقيقته وفحواه حوار بين الثقافات، بل هو في العمق أو في أبرز وجوهه حوار بين الأديان؛ نظراً للجذور الدينية التي تنتمي إليها جميع الثقافات في العالم. وربما كان هذا السبب أو العامل (الثقافي الديني) هو السبب الذي حمل صاحب (نظرية) صدام الحضارات على أن يخص الحضارة الإسلامية بالنصيب الأوفر من هذا الصدام؛ نظراً لمفارقة العامل المذكور في الحضارة الإسلامية عنه في الحضارة الأوروبية المسيحية – اليهودية تمام المفارقة، أو على نحو لا يقبل الهيمنة أو الضم أو الاستيعاب!

وقد عرّف هينتنغتون الحضارة الغربية حصراً بأنها: الحضارة المسيحية – اليهودية، وافترض أنَّ صدام الحضارات سيكون في المقام الأول صراعاً بين الحضارات الثلاث

الكبرى الأولى (**الغربية، والكونفوشية، والإسلامية**)؛ الأمر الذي يستدعي بناء استراتيجية كونية للدفاع عن الغرب تقوم على أساس تحالف مسيحي – يهودي، ويكون هدفها منع قيام تحالف مضاد بين الإسلام والكونفوشية

مجال البحث في آفاق ومجالات هذه الوسطية التي تحقق في نظر العلماء والباحثين: الاعتدال والتوازن، وتنأى عن الإفراط والتفريط، وعن الغلو والانحراف، وسائر الطرفين المتباعدين في جميع الأحكام والمواقف.

ويصعب علينا دخول نادي حوار الحضارات والثقافات بغير (الوسطية)، أو بغير هذا الفهم والتفسير لنصوص القرآن وأحكام الإسلام؛ لأنَّ (التطرف) إذا كان سمة (الآخر) فإنَّ الرد عليه بمثل منطقه وبنحو مقولاته، يقطع الطريق علينا وليس على الآخرين؛ لأنَّ هذا يُنهي الحوار في الوقت الذي يتمتع فيه الطرف الآخر بمقعد القيادة والتأثير، ومن هنا نجد الكثيرين منهم يرتاحون لكل ما نقوله أو نفعله خارجاً عن حد التوسط والاعتدال، لهذا الذي قلناه ، ولأنهم يجدون فيه سنداً لمقولاتهم، أو دليلاً على صحة أحكامهم التي يطلقونها على الإسلام والمسلمين.

إنَّ النبي الأكرم – صلى الله عليه وسلم – حين قال: (**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)[54] أشار إلى أنَّ علاقة الإسلام بالآخر علاقة إتمامية تكاملية وليست إقصائية عدمية! وهذا موقف أبعد من الحوار، ولكن الذي يبرزه ويظهره هو الحوار. ولهذا فإنَّ في وسعنا أن نقول: **إذا حضر الدين –أي الإسلام– حضر الحوار!**

وعندما نقول إنَّ الخطاب الإسلامي إنساني فكأننا نقول إنه لم يقم على أي لون من ألوان الاعتبارات العارضة أو البيئية أو القومية! فقاعدته في التحريم والتحليل على سبيل المثال، وغني عن البيان أنه لا توجد حضارة من دون مجال مقدس أو محرّم، حتى إنَّ هوية أو خصائص حضارة من الحضارات إنما تتحدد بما ترفضه، أي تحرم أخذه، من الحضارات الأخرى لا بما تأخذه وتقبله، هي الطبيعة التي خلق عليها الإنسان، والطبيعة التي خلقت عليها الأشياء: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ**﴾[55].

وبعبارة أخرى: إنَّ أحكام الإسلام كلها – بما فيها أحكام التحريم والتحليل – لم تنزل بناء على أوضاع أمة بعينها أو شعب بعينه، ولم تأت استجابة لهذه الأوضاع أو علاجاً لها في بيئة من البيئات أو زمن من الأزمان.

إنَّ الوسطية الإسلامية في حقيقتها (وسطية إبراهيمية)، (مله ابيكم ابراهيم)ونعتقد أنَّ دخولنا بها إلى نادي حوار الحضارات، يمثل الوضع الأمثل من جهة، كما أنه يعطينا الحق في حوار أصحاب هذه الحضارات/ الديانات، التي ينتسب أصحابها إلى إبراهيم – عليه السلام – من جهة أخرى ! وليست هذه دعوة إلى الجمع بين الأديان تحت شعار الإبراهيمية، ولكنه رفض لمزاعم هينتنغتون، وبيان لموقفنا الوسطي أو المتميز في نادي الثقافات، بوصفنا نمثل الوسطية البعيدة عن الغلو والتشدد، ولأنه لا معنى للحوار بعد الجمع أو تذويب الفوارق![**راجع نديم إلياس: عندما يقهر الماء صم الحجر**].

إنَّ الدكتور مراد هوفمان – وقد وجد نفسه في رحاب الإسلام – يرى أنَّ الوسطية الإسلامية هي الأهم؛ قال: "ومن الأهمية بمكان أن يتضح للقارئ أنَّ الإسلام دين الوسط، أو أن الله تعالى جعل المسلمين (أمة وسطاً) كما نصت الآية الثالثة والأربعون بعد المائة من سورة البقرة. فالإسلام يرفض التطرف والغلاة، وطغيان العاطفة أو الوجدان الظالم، والحسد الكاره للحق، والقنوط واليأس سخطاً على الماضي، والعنف والتمرد؛ بصفة كل ذلك مبادئ أو قيماً عليا" [**انظر كتابه : الإسلام كبديل الحجر**].

وإذا كانت الوسطية الإسلامية شرطاً من وجهة نظرنا للدخول إلى حوار الحضارات في عصر اتهام الإسلام بأنه العدو الجديد (أو القديم/ الجديد)، وفي عصر العولمة وفي عصر نهاية التاريخ. فإن الرئيس الألماني يطالب الغرب بالتنازل عن الأحكام المسبقة وعن الإساءة والتشويه، ويدعو إلى عدم تصوير الآخر بأنه عدو! يقول: "إن تصوير الآخر بأنه عدو، والحفاظ على هذه الصورة، كان دائماً أمراً أسهل من إعطاء صورة موضوعية واقعية عن الآخر، والتعامل معه بما يتناسب مع ذلك". بل يضيف قائلاً: "أليس محتملاً أن يكون السبب في عدم تفهمنا للإسلام هو رسوخه على أسس عميقة من التدين الشعبي، بينما نعيش نحن في مجتمع علماني إلى حد كبير"؟.

الوسطية السياسية[56]

الوسطية المعاصرة تيار يسري في الجسد الفكري والثقافي للأمة العربية الإسلامية. تيار يستنهض العزم نحو التقدم ويقاوم الاستكانة إلى حال التخلف والجمود في مجالات الحياة كافة.. والوسطية الإسلامية تبدأ من الواقع، وهي نقطة الوصل بين الماضي والحاضر، ولذلك فإنَّ الوسطية السياسية فرع من فروع الوسطية الواجبة على هذه الأمة بجعل الله إياها «ﷺ». والمَعلم الأول من مَعالم الوسطية الإسلامية السياسية أنها تنظر إلى مسألة العلاقة بين الدين والدولة على أنها علاقة اجتهادية توجب على العلماء المؤهلين للبحث السياسي على أساس فقهي إسلامي استمرار الاجتهاد في كل عصر.. فيكون المراد من كون الإسلام «ديناً ودولة» هو قبول المرجعية الإسلامية العامة التي تسمح بتعدد الآراء وتنوعها في الشأن السياسي، كما تسمح بتعددها وتنوعها في كل شأن إسلامي آخر. وبهذا الفهم يتجنب المسلم المعاصر الوقوع في القول بالفصل التام بين الدين والسياسة، مع فهم معنى «الدين» على أنه الشريعة الحاكمة لمعاملات الناس الدنيوية، ويتجنب الوقوع في وهم أنَّ النظام السياسي المقبول إسلامياً هو نظام بعينه، لا يصح الاختلاف حوله ولا الاجتهاد فيه.

وليس في النظم التي عرفتها البشرية نظام يحول بين الحكام وبين الجور والظلم -وهما من المحرمات القطعية في الإسلام - ويحول بين الاستبداد والاستئثار بالسلطة والثروة، ويحول بين الحاكمين وقمع المخالفين بالقوة الغاشمة، ليس هناك نظام يحول بين الناس وهذه المآثم جميعاً إلا نظام يتقرر فيه وجوب تداول السلطة بالطرق السلمية. وهذا التداول يؤدي إلى ألا ينفرد شخص أو حزب أو جماعة أو طائفة بحكم الناس إلى ما لا نهاية.. ولا يتحقق هذا التداول للسلطة إلا باتباع النظام المعروف بين الناس اليوم بنظام «الانتخاب». شريطة أن يكون حراً لا شبهة فيه، وألا تُزوَّر إرادة الناس بعد إبدائها، وأن يتولى الحاكمون المنتخبون سلطتهم - أو ولايتهم - إلى أمد معلوم.

ويضبط إيقاع الاجتهاد الإسلامي، السياسي، الالتزام بالقيم السياسية المنصوص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية وما بُنيَ على هذه القيم من قواعد فقهية.. والقيمة الأساسية التي تتفرع عنها سائر القيم السياسية الإسلامية هي مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو المبدأ المقرر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى

ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[57]. وقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[58].

والقيمة السياسية الإسلامية، التي تلي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأهمية هي الشورى، والصحيح من أقوال الفقهاء -وبه نأخذ- هو وجوب الشورى ابتداءً، ولزومها أو إلزامها انتهاءً، بحيث لا يجوز للحاكم تركها وإلا كان «عزله واجباً بلا خلاف».[59]

والتعددية السياسية أصل من الأصول التي تسلم بها المدرسة الوسطية السياسية في الفكر الإسلامي المعاصر. والتعددية تعني في جوهرها: التسليم بالاختلاف: التسليم به واقعاً لا يسع عاقلاً إنكاره، والتسليم به حقاً للمختلفين لا يملك أحد، أو سلطة حرمانهم منه.. والتعددية في نوع الإنسان وانتمائه، ومستوى أدائه لواجباته وممارسته لمكانته أجلى وأوضح، وليقرأ من أراد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[60].. والتسليم بالتعددية البشرية تبعاً للتسليم بحق الاختلاف يقود بغير جهد كبير إلى التسليم بحق التعددية في المذهب السياسي.[61]

ومن رأينا أن وجود الأحزاب السياسية في الظروف الحالية للمجتمعات الإسلامية ضرورة لتقدمها، ولحرية الرأي فيها، ولضمان عدم استبداد الحاكمين بالمحكومين، وهو استبداد واقع في جلِّ هذه المجتمعات أو كلها. وفقه القواعد الأصولية الإسلامية يقوم – من بين ما يقوم عليه – على قاعدة عظيمة: «**ما لا يتم الواجب به فهو واجب**». فهل يمكن أن تقوم قائمة لنظام سياسي إسلامي في العصر الحاضر وهو يُنْكِرُ على الناس اختلاف الرأي، وهو حق فطري. أو وهو يُنْكِرُ على الناس حرية التعبير عن الرأي، وهي حق أزلي. أو وهو يُنْكِرُ على الناس التجمع لبيان ما يرونه حقاً أو يعتقدونه باطلاً وهو أمرٌ رباني؟!

الأحزاب الوسطية نموذج للمشاركة السياسية الفاعلة

ما زالت تجربة حزب العدالة والتنمية التركي، وحزب العدالة والتنمية المغربي، ونجاحات الأحزاب الوسطية في تونس ومصر وليبيا والأردن محل إعجاب الجميع،

باعتبارها أنموذجاً للتقدم والتنمية ومراعاة العصر، ومتزامنة مع موجة تدين تكسو وجه الحياة في العالم الإسلامي، منطلقة من وسطية الإسلام كسلوك ديني عام.

هذه التجارب هي تجارب ناجحة بكل المعايير الديمقراطية المعترف بها في الدول الراسخة في العمل الديمقراطي، من خلال تقديم نموذج لإدارة الدولة والحكم من ناحية، وللتوفيق بين الإسلام والحداثة والديموقراطية والعصر من جهة أخرى.

فالنموذج السياسي التركي والمغربي -كممثلين للأحزاب الوسطية- يتحرك بحكمة، ولكن بثبات وثقة، نحو ديموقراطية حقيقية تغلِّب قوة البرلمان والأحزاب السياسية، وهاتان التجربتان تستحقان الدراسة والتأمل من التيارات الإسلامية في عالمنا العربي، فالتيارات الإسلامية في عالمنا العربي نتيجة لخلل في بنيتها الخاصة وكذلك لخلل في ظروف مجتمعية محيطة بها؛ كانت تتضمن أطروحاتها كثيراً من العنف، والتمحور حول الذات والكثير من الانقطاع عن التيارات السياسية في المجتمع، هذا كله أدى إلى ضعف كبير في كفاءة هذه الحركات وقدرتها على التعاطي مع واقعها السياسي.

يجب أن يبني الإسلاميون أعمالاً سياسية مشتركة، ومدّ جسور الثقة مع التيارات السياسية الأخرى، وأن يدخلوا في الحكم المحلي ليقدموا للناس خدمات حقيقية في المجالين الصحي والتعليمي، ويقدموا أفكاراً تلائم الواقع، ولا يجلسوا في "أبراج عاجية"، وهذا ما ميّز حزب العدالة والتنمية في تركيا والمغرب، بخطاب سياسي ذكي، فاستطاعوا بهدوء ويسر وبلا صدام أن يندمجوا مع الواقع، بعيداً عن التخوين والتكفير والقطيعة مع الناس، بخلاف بعض الحركات الإسلامية في العالم العربي، فهم حزب سياسي له مبادئ مستمدة من الإسلام، فهو حزب سياسي له مرجعية إسلامية وينطلق من مبادئ مستمدة من الإسلام، القائم على العقلانية والاعتدال والوسطية وتغليب قيمة الوحدة والائتلاف.

ومن بين أفضل ما قدمه النموذج التركي والمغربي للعالم هو استخدام قوته الناعمة على مستوى الدبلوماسية وعلى مستوى التواصل مع الشعوب من خلال الإدارة الناجحة لحركة التنوع والاعتراف بحقوق الآخر الديني والمذهبي والإثني والقومي، والدول الأخرى؛ أي العلاقات القائمة على تصفية المشكلات مع الجيران، أو تصفير المشكلات؛ أي جعلها صفراً.

الفُرقة والتجزئة .. أنواع وصور

يعاني العالم الإسلامي والعربي اليوم تخلفاً عن مواكبة ركب العالم المعاصر في النهضة والتقدم وبناء حياة قوية متطورة، إذا قورن ذلك بما نشاهده في دول الغرب والشرق المعاصرة، التي تتجه اتجاهاً قوياً وحيوياً نحو تحقيق متطلبات النهضة، وكان جديراً بنا أن نكون سبَّاقين إلى هذا التطور في جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية والعسكرية والإعلامية.

وحيث إننا ما زلنا بعيدين عن التقدم والنهضة في الأصول الكبرى، فينبغي معرفة أسباب التخلف والنهضة من خلال أسس التشريع الإسلامي المقررة في أصول القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ورصد كل المعوقات الداخلية والخارجية لمعرفة الداء ووصف الدواء، ومن أهمها ظاهرة الفرقة والتجزئة الفعلية المريرة والخطيرة.

ويمكن القول إن إشكالية الاختلاف ما زالت قائمة ولم يخرج علينا أحد لحلها على مدى التاريخ الإسلامي بكاملة، ألا وهي: إمكانية إيجاد الوحدة الإسلامية في وجود التنوع الفكري. وعليه، يمكن القول إن أخطر مشكلة تواجه العالم بأسره هي قضية الاختلاف، والأمة الإسلامية مطالبة بحلها.

إنَّ من أهم خصائص الإسلام ومميزاته أنه يقوم على الوسطية والاعتدال، والوحدة والائتلاف، ورفض كل حالات الفرقة والتشرذم، وقد اتصفت سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في جميع مراحل الدعوة الإسلامية بهذه الصفات « فلم يكن حاملاً سيفاً في مكة، ولم يكن مغلظاً قولاً بل كان هينا ليناً» وقد وصف الله نبيه – عليه السلام – فقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ﴾[62]. وقال أيضاً: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[63].

إننا لم نتقاعس فقط عن تأدية الرسالة الموكلة إلينا–وللأسف–، بل وقعنا نحن داخل ما أمرنا أن نخرج الناس منه **«الاختلاف»**. والمصيبة الكبرى أنَّ الله – عز وجل– قد حذرنا من ذلك تحذيراً شديداً، وبين لنا جزاء الوقوع في هذه الهوة السحيقة.

قال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[64].

ولذلك فإنَّ العالم الإسلامي، وضمنه العالم العربي يعاني معضلة الفرقة والتجزئة التي تخترق طبقاته البنيوية اختراقاً عمودياً، لم ينج منه أي مستوى من مستويات وجود الأمة: عقدياً وقطرياً وإثنياً، ولا يمكن الزعم بأنَّ العامل الخارجي وحده هو الفاعل الكبير في صناعة هذه الفرقة، بل إنَّ هذه الظاهرة تمثل خير مثال لتكامل العوامل الداخلية والخارجية في صناعة بعض العوائق البنيوية الموضوعة في وجه مشروع النهضة الإسلامية المنشودة.

أما صور الفُرقة والتجزئة فهي:

– **التجزئة القطرية**: إنَّ أخطر الظواهر الملازمة لتاريخ العرب والمسلمين الحديث هي ظاهرة الدولة القطرية، فحالة التجزئة هذه حولت المنطقة العربية والإسلامية إلى كيانات مقطوعة الأوصال بعضها عن بعض، ليس فقط على مستوى «الحدود الوطنية» بل على مستوى التوجهات الثقافية والسياسات التعليمية والهوية السياسية، ولعل الظاهرة الأكثر خطورة في هذا المجال السياسات الثقافية العامة المنتهجة في بعض الأقطار العربية التي هي في الغالب من طبيعة انعزالية انفصالية، يضاف إلى ذلك تفجير المناكفات السياسية والنزاعات الحدودية بين الدول العربية..، وهكذا نجد أنفسنا أمام كيانات قومية متصلبة الشرايين لا تشدها روابط مشتركة أو قواسم جامعة، وعوض أن تكون الثقافة السياسية عامل دمج وتوحيد تصبح جغرافية الجيرة عامل تدابر وتقاطع لا تواصل وتعاضد.

ويُدرك **تيار الوسطية** أنَّ هنالك متطلبات محلية لا يمكن تجاهلها لكل قطر أو جهة إقليمية من الجهات العربية، ولكن ذلك لا يجوز أن يدفعها إلى نوع من الانعزالية القطرية تحت دعاوى «المصالح الوطنية المحلية»، بل يجب التمتع بمستوى من الصفاء الكامل على بمستوى الولاء العربي والإسلامي الواسع، والحرص الشديد على مد جسور التواصل والتضامن مع المحيط العربي والإسلامي الواسع «كلما أتيحت الفرص المناسبة لذلك كما كان الأمر مع قضية فلسطين مثلاً التي التفت حولها أغلب القيادات العربية والإسلامية منذ تشكل بوادر مشروع التوطين الصهيوني والأطماع الاستعمارية الغربية»[65].

ويقرّ **تيار الوسطية** بوجود مشكلة عربية بالغة الخطورة ناجمة عن هذه التجزئة التي يراد منها أن تمحو شيئاً اسمه الأمة العربية، وذلك من خلال تحويل أقطارها إلى كيانات «قومية» بدلاً من أن تكون أجزاء قطعت من أمة واحدة ... بل إنَّ التسليم بهذا المسار الذي حقق ذلك الهدف الاستعماري (الإسرائيلي لاحقاً) راح يواجه الآن مخططات لتجزئة الأقطار العربية إلى دويلات وطوائف وإثنيات وجهويات (مثال العراق)، إمعاناً في إلغاء الهوية العربية التي بقيت جامعة على الرغم من إلغاء الوحدة السياسية للأمة العربية وتحويلها إلى دول قطرية ذات هوية وطنية في إطار الهوية العربية والإسلامية[66].

لكن الأمور لم تقف عند هذا الحد من التفاقم، فها هي النخب العربية والإسلامية المتغربة، تتنكر لحلم الوحدة وتستهجنه وتسعى إلى شرعنة التجزئة، لا بصفتها أمراً واقعاً فقط، بل بصفتها الأمر المطلوب تاريخياً وعلمياً! ومطلب الوحدة العربية هو مجرد حلم عاطفي جميل لا غير؛ لأنه ليس بإمكانه الصمود أمام العوازل الجغرافية بين مختلف الأقطار العربية بحكم امتداد الصحارى والكثبان الرملية[67].

إنَّ الأمة العربية تمتلك أهم مقومات الوحدة وهي الدين واللغة والتاريخ والجنس والجغرافيا[68]، إلا أنها لم تنجح في تحقيق أي شكل من أشكال الوحدة، لا الاندماجية ولا الكنفدرالية ولا الفدرالية[69].

– **التجزئة الطائفية**: وليس المقصود بالطائفية مجرد الانتماء إلى طائفة، فقد صار هذا ومنذ القرن الأول كأنه قدر منزل، وكأنه حظنا من طبيعة الاختلاف التي جعلها الله سنة من سننه في الكون، وإن كان من حقنا التفكير خارج هذا الانتماء، وإنما المقصود التعصب الذميم للطائفة أو المذهب أو الشيخ أو الزعيم، تعصباً أسوأ من التعصب للعرق أو اللون أو القوم، لأنه يلبس لبوساً دينياً ويلبس الناس شيعاً ويلبس عليهم أمر ولائهم لله والرسول والمؤمنين، لقد قلبت الطائفية الآية عند المسلمين اليوم، فصاروا «رحماء على الكفار أشداء بينهم»، بعكس المطلوب منهم، والوصف المخرج لهم في القرآن: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[70]، وصار يسع بعض المسلمين اليوم عقد مؤتمرات التنسيق مع غير المسلمين – وهذا ما لا نرفضه –، ولكن إذا ذكر حس طائفة إسلامية أخرى استيقظت عندهم حواس الحذر والحيطة، وهرعوا إلى أسلحة الشك والريبة، بل استغاثوا بجنون الرغبة في التميز،

احتكاراً للصواب واستفراداً بالحق وإغلاقاً لباب الجنة دون سواهم... على الرغم من أنَّ «الله تبارك وتعالى قد أغنى المسلمين باسم الإسلام عن كل اسم سواه، فبه ربط جميع التكاليف والأحكام، ولأجله جعل الولاء والبراء، وما دام اسم الإسلام ثابتاً لإنسان فأخوة الإسلام له ثابتة ...» ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[71]، (لا تحاسَدوا، ولا تباغَضوا، ولا تناجَشوا، ولا تدابَروا، ولا يبِع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عبادَ الله إخواناً. المسلمُ أخو المسلِم؛ لا يظلِمه، ولا يخذِله، ولا يكذِبه، ولا يحقِره. التّقوى ها هنا -ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحَسب امرئٍ من الشرّ أن يحقرَ أخاه المسلم. كلُّ المسلم على المسلم حرام؛ دمُه وماله وعِرضه)[72]

وعلى الرغم من صرامة القرآن في هذا المجال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[73] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[74]، وعلى الرغم من أنَّ قواطع الأدلة من الكتاب والسنة جاءت بالأمر بالاجتماع والوحدة، ومنعت من التفريق والاختلاف، وذلك تحت شعار الإسلام لا غير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[75]، وهذا الاسم كاف لاحتواء جميع من انتمى إليه.

إنَّ من الحكمة في المجادلة والدعوة إلى الله حتى مع غير المسلمين أن تبدأ الحوار من نقطة الاتفاق، ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[76]، فإذا كانت دعوة غير المسلمين وإنكار منكرهم تغتنم فيه مواضع الاتفاق، فذلك في حق المسلمين الذين يجمعك وإياهم الانتساب لدين الحق أولى وأصح في القياس، فكيف إذا انضم إليه ما أوجب الله من التراحم بين المسلمين والحرص على منفعتهم؟ لكن كثيراً من الناس تشكل عليهم أمور، منهم من يجهلها، ومنهم من تمنعه العصبية إلى فرقته من إدراك حقائقها. ومن الطائفيين من احتكر لنفسه الفرقة الناجية والطائفة المنصورة معاً.

إنَّ جدلية التدين والتعصب تفضح الطائفية وتنزلها منزلتها المستحقة، فلم يكن التدين الحقيقي يوماً قرين التعصب كما قد يبدو من النظرة السطحية، بل العكس تماماً، فإنَّ المتأمل في سيرة الجيل الأول المستنير، بل في سير أمم أخرى كانت على ديانات أخرى،

يتبين أنَّ التعصب إنما يذر قرنه حين يضعف التدين، فعلاً تعويضياً سيكولوجياً عن الشعور بالتقصير، وجهلاً بروح الدين، وما أطرف ما صرح به أحد قادة الحرب الأهلية في لبنان – نبيه بري – لإحدى المجلات السياسية منذ أزيد من ربع قرن، في عز الحرب الأهلية اللبنانية، مبيناً أنَّ «المتقاتلين باسم الإسلام والمسيحية في لبنان، هم أبعد الناس عن ارتياد المساجد والكنائس»، فالعلماء والغوغاء على طرفي نقيض، الأولون أعرف بالحق وأرحم بالخلق، والآخرون أجهل بالحق وأظلم للخلق.

ويؤمن تيار الوسطية أنَّ الطائفية حالة عقلية ونفسية مغلقة، قوامها الجحيم هم الآخرون، هم أصل المشكل وزوالهم من الوجود هو الحل، فالعالم من دونهم أفضل وأجمل، والطائفي أعمى لا يهمه إلا داخل الدائرة وكله خير، ولا شيء خارج الدائرة سوى الشر، والانقسامات داخل الطائفة الواحدة مذاهب وداخل المذهب الواحد اتجاهات وداخل الاتجاه الواحد ولاءات، مما يعيا به العد سنة وشيعة وسلفية وحركية وصوفية، شعبية ورسمية، ولم ينج حتى أعلام الوحدة ورموزها ودعاتها المتفانون في سبيل تحقيقها من طائفيين حولوا بعض كلامهم إلى مادة للتشنيع بحثاً عن نقط خلافية توجد للطائفية موطئ قدم في فكر الوحدويين!

– **التجزئة العرقية**: وهي لا تقل خطراً عن سابقتيها، لا في حدتها، ولا في توغل الأصابع الخارجية الموجهة من خلالها، كما هو الشأن بالنسبة للمسألة الكردية في الشرق، والمسألة الأمازيغية في الغرب، وقضية الطوارق في الجنوب، وتشبهها إلى حدد ما الصراعات القبلية المحتدمة خصوصاً في شمال شبه الجزيرة الهندية.

وذلك على الرغم من أنَّ الإسلام يؤسس لقبول الآخر تأسيساً عملياً وواقعياً عندما يرفض كل أشكال العنصرية تجاهه، كما أنه يرفض تصنيف الآخر بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو غيرها من المميزات «غير الاختيارية»، ومن ثم لا يمكن أن ينشأ في ظل التصور الإسلامي موقف يرفض الآخر، يؤدي إلى تسويغ العنف ضده لسبب لوني أو لسبب عرقي أو أي سبب آخر بالوراثة.

وهكذا تنتفي ذاتياً كل أسباب ممارسة العنف ضد الآخر لإذلاله أو إقصائه أو محوه محواً مادياً من الوجود، ما دام يتأسس في ضمير الإسلام التلقائي والمنطقي والمؤصل،

كل أشكال قبول الآخر، عوض كل أشكال رفضه.. إلا أنَّ هذا الموقف العقدي الصارم والناصع، تلاعبت به السنون والظنون والمصالح الضيقة، ولعبت رياح التأثير والتدخل الغربية دورها الدامي، فأصبح المسلمون بعد أن كان حكمهم نموذج التسامح تجاه غيرهم، أعجز الناس عن التسامح تجاه الذات، وهنا للنخبة المؤطرة للجماهير دور أصبح يؤدى في الغالب، بالمقلوب.

الفُرقة سبيل التّخلّف والتّأخّر في جميع ميادين الحياة

الفرقة أخطر العيوب العامّة، فإنّها مدمّرة للأمّة والوطن والمجتمع، وتقود إلى التّخلّف والتّأخّر في جميع ميادين الحياة، لذا أمر الشّرع الإسلامي بالوحدة ونهى عن الفرقة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[77]، وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[78]، أي إنَّ خرق صفّ الجماعة يُعرِّض أصحابه إلى دخول جهنّم، وتدلّ الآية على أنَّ اتّباع غير سبيل المؤمنين، أي سبيل الفرقة والضلال[79] حرام، فيكون اتّباع سبيل التّجمّع واجباً.

وأكّدت السّنّة النّبويّة هذا التّوجّه، فقال – صلى الله عليه وسلم – : (يد الله مع الجماعة –أو على الجماعة–، ومن شذّ شذّ في النّار)[80]، (من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[81]، (من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات ميتة الجاهلية)[82]، (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح)[83]، (الجماعة رحمة، والفرقة عذاب)[84]، وغيرها من الأحاديث التي تبلغ مرتبة التّواتر المعنوي.

وأصرح من هذا الحديث النبوي الشريف: (دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، أما إنّي لا أقول: تحلق الشّعر، ولكن تحلق الدّين)[85]، والفرقة والحقد من أهم أسباب البغضاء.

فما أسوأ الفرقة وبخاصّة تفرقة المسلمين في عصرنا الحاضر، فهي من أهم أسباب التّخلّف، والضّياع، والمذلّة، والهوان، وجمود الرّقي.. والفرقة المذمومة: هي الفرقة النّاجمة عن عوامل الهوى والعناد والتّباعد، دون حجّة مقبولة ولا دليل معقول، ولا يعني هذا عدم

احترام الرأي الآخر، ولا عدم قبول موقف المعارضة، ولا الاختلاف في الرأي، فهذا شيء محمود ومقبول؛ لأنّ ذلك مبنيّ على رأي له حظّ من النّظر، واجتهاد قائم على الدّليل، لكنّه أضعف من أدلّة الجماعة والأكثريّة التي تلاحظ تحقيق المصلحة العامّة بنحو سديد وأصيل، وبحجّة قويّة غير واهية.

التكفير طريق الفرقة والاختلاف

إنَّ اختلاف الدّين يجب ألا يكون سبباً للاختلاف في الإسلام؛ لأنّ سنّة الله تعالى اقتضت وجود اختلاف الأديان، ليظهر الفرق بين الحقّ والباطل، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[86]، وقال تعالى أيضاً: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[87].

وأمّا في دائرة الإسلام فيجب أن يكون الاختلاف أشدّ رفضاً وأبعد وجودا؛ لأنَّ مظلّة الإسلام الأصيل تجمع الفرقاء، وتحقق وحدة الأمّة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[88].

ومن الغرابة بمكان أن يتّهم المسلمون بعضهم بعضاً بالضّلال كاتّهام البعض لغيرهم به، أو بالكفر كاتّهام قواعد الإرهاب والجهل والسّفاهة والمروق لغيرهم به، فتنزلق بعض هذه القواعد لتكفير الآخرين من نساء ورجال، ويستبيحون دماءهم، ويحكمون عليهم بالقتل الشّنيع، مع أنَّ الفريقين يؤمنون بأصول الإيمان الستة (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرّه حلوه ومرّه)، ويتّفقون في أركان الإيمان والإسلام.

إنّ ظاهرة التكفير هذه أشدّ بلاء وفتكاً وتفريقاً بين المسلمين، وكأنّهم أحفاد الخوارج الّذين كفّروا كلّ من عداهم من المسلمين، فاستحلّوا الدّماء، وفتكوا بالأعراض، واستباحوا الأموال، وقطعوا الأوصال بين إخوانهم المؤمنين والمؤمنات، وزعماء هذه الفرق إمّا متعصّبون عُمْي البصائر، وإمّا جهلة، وإمّا فوضويّون عابثون، ثمّ عدل كثير من الخوارج عن نحلتهم، وبقي الأقلوّن على نزعتهم، أمّا التكفيريّون الحاليون أو قواعد الإرهاب الحمقى المعاصرة فلم يعودوا لرشدهم بعد، وإذا كانوا صادقين في ادّعائهم العمل للمسلمين، فلماذا لا يحصرون نشاطهم ومقاومتهم لأعداء الأمّة الإسلاميّة؟!

وكيف يستحلّ الإرهابيون دماء العشرات من النّساء والشّيوخ والأطفال المسلمين وربما من أسرة واحدة؟! وكذلك التّسرّع في اتّهام الآخرين بالضّلال، تحت لواء مقاومة الابتداع ومناصرة السّنّة خطأ محض، وهو لا يخدم غير الأعداء، وليس كلّ بدعة مكفّرة، كما أنّ السّنّة مختلف فيها في روايات الأحاديث، وحمل النّاس على تأويل مقبول أو ظنّ حسن أولى من الوصف بالضّلال، والضّلال رديف الكفر.

العقيدة الإسلامية عامل وحدة وعلاج من الفرقة والتجزئة

العقيدة الإسلامية أو قواعد الإيمان «الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» هي الأساس الجامع بين شعوب الأمة الإسلامية وأغلب البلاد العربية، وقد ركّز القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية على تصحيح العقيدة الإيمانية؛ لأنها منطلق جميع القيم الدينية والقيم الخيرة، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو القيادات، ثم هي طريق بناء الأمة بناءً سليماً، والمثال الواضح: هو أنَّ العرب في جاهليتهم كانت تهيمن عليهم مفرزات القبلية والعشائرية، فتشن الحروب الطاحنة فيما بينهم، وقد تستمر أربعين سنة كحرب داحس والغبراء، فشاعت الفرقة والتجزئة في ربوعهم، وكانت دولتا الفرس والروم تهيمن عليهم، المناذرة في العراق يوالون الفرس، والغساسنة في الشام يوالون الروم؛ لأنهم كانوا يعيشون بحسب أهوائهم وشهواتهم، ولا يعرفون علماً يجمعهم في السياسة والاقتصاد والاجتماع؛ لأنهم أمة أمية لا يحسبون ولا يكتبون باستثناء أفراد معدودين في كل قبيلة أو عشيرة، وعقيدتهم تتمثل في عبادة الأصنام والأوثان، وهي وكر الخرافات والأباطيل، يمارسون تقاليد وعادات فيها غاية السخف والانحطاط، والعقول في الغالب الأعم بدائية ساذجة، والمعارف موروثة من غير ميزان ولا هدف أو غاية موضوعية أو مقصد شريف إلا ما ندر.

وقد وصفهم القرآن الكريم بالأميين في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[89]

وأحكامهم باهتة وفوضوية وجامدة، تعتمد على تقليد الآباء والأسلاف من غير عقل ولا وعي، مرددين ما أخبر عنه القرآن في آيات كثيرة، منها: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[90]، ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم

مُّهۡتَدُونَ ﴾[91]، وهم في نظام الحكم تائهون ضائعون كما قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾[92].

ثم كان الإسلام العظيم بنظامه الإلهي وإصلاحه العقدي والحضاري قد حوَّل طاقات الأمة العربية، ووجّهها الوجهة الصحيحة والرفيعة، حتى صاروا في مقدمة الأمم علماً وعملاً، وممارسة وحضارة، وتفوقاً سامياً في السياسة والحكم والنظام والأخلاق والمعاملات والاقتصاد والاجتماع بل الإعلام أيضاً، فحققوا المعجزات وانتصروا على أعدائهم في فترة قصيرة لا تزيد على ربع قرن، حتى استحقوا الوصف الإلهي المتميز في قول الله سبحانه: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[93]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: نظام حضاري رفيع، والإيمان بالله: قاعدة وطيدة تنطلق منها كل معاني الخير والتقدم والرفعة والسمو، وبناء الوحدة والوفاق، والتخلص من آفات الفرقة والتمزق والشتات.

جمع الله تعالى الأمة العربية ثم بقيت الأمة الإسلامية تحت مظلة القرآن المجيد في قول الله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ... ﴾[94].

والاعتصام بحبل الله: التمسك بالقرآن وبالإسلام، وترك التفرق الجاهلي، وحرب بعضهم بعضاً، ونبذ الاختلاف في الدين، وحلّ محل كل ذلك نعمة واحدة، وعمل جدي شامل، ومحبة بعد تباغض، وتفاهم بعد تخاصم، وتعاون بعد تنافر، ووحدة أساسها عبادة الله تعالى وطاعته، وهي مصدر عزة الإنسان وسموه ورفعته، والمساواة بين عباد الله جميعاً دون تعصب جاهلي، ولا تميز طبقي، ولا ترفع أو زعامة قبلية.

وأصبح شعار الأمة التعاون والإخاء والتفاهم بالحسنى، كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[95]؛ أي إنّ الإيمان الصلب هو العاصم من الفرقة.

وظلّت ظاهرة الإيمان القويّة هذه هي السائدة والجامعة للأمّة في القرون الثلاثة الأولى: عصر الصحابة والتّابعين وتابعي التّابعين بشهادة النّبيّ – صلى الله عليه وسلم

-: (إنّ خيركم قرني، ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ يكون قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون)[96]، وهذه القرون الثلاثة دامت زهاء مائة عام.. ثمّ غلبت المصالح الدّنيويّة وتفرّقت الأمّة شيعاً وأحزاباً، بسبب الحرص على الحكم، وتسلل شبهات وأفكار غريبة عن الوسط الإسلامي النّقي، ووجود نظريّات فلسفيّة أعجميّة من مثل فلسفة اليونان الإلحاديّة، فهزَّت وحدة الأمّة والعقيدة، مع أنَّ الله سبحانه وتعالى حذَّر من هذه الفرقة الخطيرة، وظلَّ التّذكير القرآني مطالباً بوحدة الاعتقاد والدّين في آيات منها: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[97]، و﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[98].

المنتدى العالمي للوسطية مشروع وحدة وتعظيم لمشتركات الأمة

لقد رفعنا في المنتدى العالمي للوسطية شعار رحمة للعالمين، إيماناً منا بأنَّ رسالة الإسلام لن تكون إلا كذلك رحمة وبراً وخيراً للعالمين، ومثل المؤمن كمثل الغيث أينما وقع نفع، وإيماناً بمنزلة الإنسان عند الله حيث كرمه بخلقه من يده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وسخرهم في خدمته، وذلك قبل أن يأتي رسول أو كتاب: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[99]. أو نادينا بالإخاء الإنساني في ظلال الإيمان: مهتدين بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[100].

يأتي قيام المنتدى الإسلامي العالمي للوسطية ضرورة حقيقية لمواجهة التحديات التي تعصف بالأمة، وخاصة في غبار ما تواطأ على رسمه التطرف من مرصديه: التطرف الخارجي الذي جاء بالعدو الصهيوني إلى المنطقة ليشرخ وحدة الأمة ويلقي خنجره في أحشائها ويحول دون بناء وحدة إسلامية حقيقية، وما زال يدفع لإرسال الجيوش وإشعال الحروب، ولا تزال الأمة تدفع أفدح الخسائر من جراء ذلك الكيد الحاقد في أرض فلسطين وفي العراق وأفغانستان وغيرها من المناطق الإسلامية المشتعلة، والتطرف الداخلي الذي رفع شعار الإسلام شعاراً في داخل الأمة الإسلامية وتصرف بعقل خوارجي إلغائي إقصائي وبعبارة الخوارج القديمة: لا حكم إلا لله، وهي الكلمة التي شرحها الإمام علي – رضي الله عنه – قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام بقوله: إنها كلمة حق يراد بها باطل.

إننا أمام مواجهتين مباشرتين لا خيار لنا في خوضهما تأكيداً لروح الإسلام المتسامحة، ورفعاً للخطر الجاثم على الأمة في حاضرها ومستقبلها.

إنَّنا نؤمن بوحدة الأمة في إطار التنوع الواسع الذي يملأ الساحة الفكرية، والتيارات الفكرية والقومية والعلمانية التي تمارس نشاطها داخل الأمة، ونؤكد أنَّ العمل الإسلامي لا يجوز أن يجد نفسه في صدام مع عمل الآخرين ولو كانوا ينطلقون من رؤى قومية أو علمانية أو اشتراكية، والهدف- كما هو واضح - تأكيد المشترك وتجاوز المختلف بيننا لبناء أوطاننا وتحقيق وحدتنا على أساس من العدل والرحمة والإحسان.

وهذه الروح من التسامح والإخاء هي التي ينبغي أن تطبع علاقة المؤمن بالناس جميعاً، سواء أكانت إقامته في المشرق الإسلامي أم في الغرب المختلف دينياً وحضارياً، وهو ما ينبغي اليوم تأكيده بعد أن صارت هموم الجاليات الإسلامية في الغرب تصيب بشظاياها المسلمين في العالم كله، وتدعونا إلى التعامل بمسؤولية مع هذه المستجدات.

الناس وفاقيون وفروقيون، منهم من يبحث عن المشترك ومنهم من يبحث عن المختلف، ومن عجائب القدر أنَّ كلاً من الفريقين يجد بغيته وشواهده في العقل والنقل، ولا يخفي كاتب هذه السطور انحيازه إلى تيار الوفاقيين الذين يؤمنون بالإخاء الإنساني في الأرض، ويؤمنون بأنَّ الله خلق العالم من أجل نهاية سعيدة.

الجميل كاسمه، والمعروف كرسمه، والخير كطعمه، وهي حقائق شرحها نص نبوي كريم رفعه الرسول إلى ربه: ليس كل مصل يصلي وإنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي وآوى الغريب ورحم المصاب وكسا العريان.

وحين مضى التعصب إلى غايته في منع الخير عن المختلف في المذهب أو الدين أو الطريقة راح النبي يضرب لهم أروع الأمثلة من الأفق الإنساني البعيد.

والحاصل: أنَّ الإيمان الصّحيح في مفهوم الحضارة الإسلاميّة، هو الّذي يحمي الأمّة من الانقسام والتفرقة، وهو الّذي يقوِّم الاعوجاج والانحراف في كلّ شيء، وهو الّذي يُصحِّح مسيرة الحضارة الإسلاميّة، ويميّز عناصرها الصّالحة من عناصرها الرّديئة، وينفخ فيها الحياة القويّة، ويهبها من ذاتية المجد، ويرعاها صغيرة في بداية النّموّ، ويراقبها كبيرة

ذات ظلال وارفة، ويدفع عنها كلّ عوامل الضّعف والشّيخوخة والانحطاط، ويحميها من غوائل الهدم والتّخلّف والضّياع، ولا يدعها تتأثّر بأيّة حضارة مادّيّة بحتة أخرى، وإنّما يوجهها نحو الاستفادة من الإيجابيات، ويقيها من السّلبيّات.

ويؤمن المنتدى العالمي للوسطية بضرورة تجديد الأمة اليوم لخطابها الإسلامي الوحدوي بتجنب الخطاب الحاد الذي يقسم أبناء الوطن الواحد إلى مواطنين من الدرجة الأولى والثانية بحسب الدين أو العرق أو الثقافة، وتأكيد معاني الحرية والمساواة والديمقراطية، وإزالة الاضطراب الذي يتسم به خطاب بعض الجماعات الإسلامية (يا أباذر إنك امرؤ فيك جاهلية ...).

على خطابنا الإسلامي أن يتجنب الهجوم على الموروث الثقافي الحميد وكريم العادات للآخرين (حلف في بيت عبد الله بن جدعان)، وترسيخ وتأكيد معنى الولاء في الدولة ذات التنوع الثقافي يؤسس على عقد المواطنة بين المسلمين وغيرهم، وذلك تجنباً لإثارة العصبيات والجهويات وإشعار الأقليات بأنها مهضومة الحقوق.

على خطابنا الإسلامي أن يتجنب جعل الدين مادة للخلاف بين أبناء الوطن، بل أن يسعى لأن يكون مادة للوفاق في تجاوز الخلاف التاريخي بين المذاهب الإسلامية والنظر إلى المستقبل.

علينا أن نتجنب في خطابنا إلغاء الآخر، نعمل على إزالة الحواجز المصنوعة بيننا وبين التيارات الوطنية الأخرى، ولا ندعي الحقيقة دون غيرنا أو الرعاية والأبوة للآخرين.

على خطابنا الإسلامي أن يتجه نحو المؤسسية والابتعاد عن الفردية والديكتاتورية وذلك بإحياء المؤسسات، البرلمانات وتعزيز دورها كأداة للشورى وعدم التبرؤ من المصطلحات الحديثة مثل الديمقراطية بل استخدامها كجزء من تحديث الخطاب الإسلامي.

الخاتمة

إنّنا اليوم في أشدّ الحاجة إلى الوفاق وجمع الكلمة والصّفّ، ونبذ كلّ ما يفرّق الأمّة الإسلاميّة وكذا العربيّة، أو يزرع الكراهية والبغضاء والأحقاد بين أبناء الوطن الواحد،

والإسلام الجامع، وإنهاء الصّراعات العرقيّة والطّائفيّة والعقديّة والقطريّة والمذهبيّة التي تقسم الأمّة في أقل المراتب إلى الإثنيّة، أو القبليّة أوالعشائريّة؛ لأنّ ظاهرة التّراكم وإفرازاتها المسمومة شرّ محض وضرر محقق.

يجب العودة إلى «الوسطيّة والاعتدال» و «الإخاء والتّسامح» و «الوحدة والوئام والسّلام والأمن الحقيقي» وتوجيه طاقات كلّ شعب مسلم لمقاومة العدوّ المشترك.

ولا ضير من وجود ظاهرة التّعدد بأشكاله المختلفة ما دام العمل الواحد لمصلحة الأمّة العامّة هو الأساس، فالإسلام دين الجميع، ومظلّة الجميع، والوحدة الوطنيّة ضرورة حيويّة لصون حياة الأمّة وتقدّمها ونهضتها؛ لأنّ المبادئ الأساسيّة واحدة، والقواعد الأصليّة واحدة، والمنهاج الإسلامي في العمل المشترك واحد.

وعلينا أن ندّخر قوانا وقدراتنا الفكريّة والسّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة لإقامة بنية أمة واحة قويّة؛ لأنّنا مهددون بخطر مشترك يعمّ الكلّ.. ولا مانع بعدئذ من وجود تغيّرات واختلافات اجتهاديّة محضة، لمصلحة الأمّة كلّها، ولا مانع من تعدد الآراء المذهبيّة في دائرة الأصول الكبرى؛ لأنّ الاجتهاد البحت والمخلص والبعيد عن التّعصّب مقبول من الجميع دون تقاذف التّهم أو التّورّط في التّكفير أو التّضليل أو رمي الآخرين بالخيانة وموالاة المستكبرين المعادين.

الهوامش والمراجع

(1) سورة آل عمران: 102.
(2) سورة الأحزاب: 70-71.
(3) سورة الأنبياء: 107.
(4) سورة البقرة: 143.
(5) الحجرات الآية 9
(6) د. سعد الدين العثماني: المنهج الوسط في التعامل مع السنة النبوية المطهرة، منشورات المنتدى العالمي للوسطية، سلسلة الفكر الوسطي (34).
(7) وسطية الإسلام بين الفكر والممارسة، من إصدارات المنتدى العالمي للوسطية، كتاب المؤتمر الدولي الأول، بحث د. عصام البشير.
(8) الفكر الوجودي عبر مصطلحه،عدنان بن ذريل،منشورات اتحاد كتاب العرب 1985، دمشق، ص 5.
(9) لسان العرب لابن منظور، ج7، ص426.
(10) المرجع السابق، ج7، ص 428 .

(11) سورة البقرة: 143.
(12) القاموس المحيط للفيروزآبادي، ج2، ص142.
(13) لسان العرب، ج7، ص431.
(14) – تفسير الظلال، سيد قطب، دار الشروق – ط–35 سنة 1425 هـ – 2005م. ج1ص131.
(15) – سورة الإسراء: 110.
(16) – سورة لقمان: 19.
(17) – سورة الأعراف: 31.
(18) – سورة الفرقان: 67.
(19) – سورة الإسراء: 29.
(20) – سورة الأنعام: 152.
(21) – سورة الحجرات: 9.
(22) – سورة البقرة: 143.
(23) – سورة القلم: 28 .
(24) – سورة البقرة: 238.
(25) – وها هنا وسطية زمان لا يضيرها إن كان المعنى صلاة الفجر أو صلاة العصر (وهو الراجح) أو غيرهما من الصلوات كما جاء في التفاسير، إذ إن المقصود الإشارة إلى الزمان لا غير.
(26) – سورة العاديات: 5.
(27) – صحيح البخاري «كتاب بدء الوحي، باب الدين يسر، ج1، ص23.
(28) – صحيح ابن حبان، ج5، ص 305.
(29) – الترغيب والترهيب، ج3، ص30، ومسند أحمد ج3، ص285.
(30) – صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كانت صلاة النبي ج1، ص283.
(31) – صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ما يكره من التشدد في العبادة، ج1،ص386.
(32) – مجمع الزوائد، ج4، ص301.
(33) – سنن ابن ماجه: المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله، حديث رقم 4.(سنن المصطفى –صلى الله عليه وسلم –: لابن ماجة القزويني، الطبعة الأولى، بالمطبعة التازية بمصر سنة 1349م).
(34) – الفتح: 29.
(35) – منهاج السنة النبوية، ابن تيمية:1/ 166. (منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت).
(36) – رواه أحمد في أول مسند الكوفيين باب بقية حديث عمار بن ياسر حديث رقم 17605.(مسند الإمام أحمد بن حنبل: ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/ الثانية، 1420هـ).
(37) – رواه الدارمي كتاب فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن حديث رقم 3196. (سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، ت: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ).
(38) – إبطال الحيل: عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري العقبلي، ت: زهير الشاويش،، نشر المكتب الإسلامي، ط/ الثانية بيروت.1/ 12(إبطال الحيل: عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري العقبلي، ت: زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، ط/ الثانية بيروت).
(39) – أدب الدنيا والدين: ص172. (أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي، ت: محمد فتحي أبو بكر، دار الريان للتراث، ط/ أولى، 1988م).

(40) – د. محمد عمارة.
(41) – سورة الفرقان: 67.
(42) – سورة الإسراء: 26.
(43) سورة الإسراء: 29.
(44) رواه الإمام أحمد.
(45) رواه البخاري.
(46) رواه مسلم والإمام أحمد.
(47) رواه البخاري.
(48) سورة الحاقة: 7–8.
(49) سورة فصلت: 34.
(50) سورة البقرة: 143.
(51) د. محمد عمارة..
(52) سورة البقرة: 143.
(53) الأستاذ الدكتور عدنان محمد زرزور: الوسطية الإسلامية مدخل إلى الحوار الحضاري، من إصدارات المنتدى العالمي للوسطية، سلسلة الفكر الوسطي (2).
(54) وفي رواية : «صالح الأخلاق» حديث متصل من وجوه صحاح ، عن أبي هريرة وغيره ، كما قال ابن عبدالبر. رواه الحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والبخاري في الأدب المفرد . ورواه من طريق أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أيضاً الإمام أحمد ، قال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح . انظر فيض القدير للمناوي 2/ 572.
(55) سورة الأعراف:157.
(56) الوسطية السياسية: د محمد سليم العوا، سلسلة الفكر الوسط/ 1، من منشورات المنتدى العالمي للوسطية.
(57) سورة آل عمران: 104.
(58) سورة آل عمران: 110.
(59) تفسير القرطبي ، جـ 4، ص 249 ـ 251 من طبعة دار المعرفة في بيروت، والتفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، جـ 3، ص 120 ـ 122 من طبعة القاهرة.
(60) سورة الحجرات: 13.
(61) النظام السياسي في الإسلام، محمد سليم العوّا وبرهان غليون، المرجع السابق.
(62) سورة آل عمران 159 .
(63) سورة التوبة 128.
(64) سورة آل عمران: الآية 105 .
(65) عبد السلام رفيق: إشكالية الوحدة والتجزئة في الخطاب العربي، موازين–الكتاب الثالث.مارس2006. ص33–34.
(66) محجوب هاني: وحدة العرب قضية إسلامية أيضا، موازين– العدد الأول، يناير 2006.ص29–30.
(67) عبد السلام رفيق: مرجع سابق.ص 35–36.
(68) انظر: طه جاد محمد:الوحدة العربية، المحاولات والإنجازات، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، غشت 2002، أبو ظبي.ص9–13.
(69) نفسه : ص15–20.
(70) سورة الفتح: 29.

(71) سورة الحج: 78.
(72) أخرجه مسلم ، كتاب البر، حديث رقم:2564.
(73) سورة الأنعام، 153 .
(74) سورة الأنعام، 159 .
(75) سورة آل عمران: 19.
(76) سورة آل عمران: 64.
(77) سورة آل عمران: 105.
(78) سورة النّساء: 155.
(79) أي سبيل الجماعة والوفاق.
(80) أخرجه التّرمذيّ عن ابن عمر رضي الله عنه.
(81) أخرجه البزّار والطّبراني في الأوسط، لكن فيه ضعيف، وأخرجه أحمد ورجاله ثقات رجال الصحيح، وأخرجه أبو داود والحاكم.
(82) أخرجه التّرمذي.
(83) أخرجه الإمام أحمد في كتاب السّنّة عن ابن مسعود موقوفاً.
(84) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، والقضاعي عن النّعمان بن بشير رضي الله عنه.، لكنّه ضعيف.
(85) أخرجه البزّار بإسناد جيد والبيهقي وغيرهما.
(86) سورة يونس: 99.
(87) سورة البقرة: 256.
(88) سورة الأنبياء: 92.
(89) سورة الجمعة: 2.
(90) سورة الزخرف: 23.
(91) سورة الزخرف: 22.
(92) المائدة: 50.
(93) سورة آل عمران: 110.
(94) سورة آل عمران: 103.
(95) سورة التوبة: 71.
(96) متّفق عليه بين البخاري ومسلم عن عمران بن حصين t (بلوغ المرام وسبل السّلام 4/ 126).
(97) سورة الأنبياء: 92.
(98) سورة المؤمنون: 52.
(99) سورة الأسراء :70.
(100) سورة النساء : 94.